تلك الأصقاع واستصلح الغابة وفتح فيها الطرقات وأقام منشأة لاستخراج الملح وخلق أسطولا للصيد . كما انه اصلح ابنية الدير وجعل في أحسن حالة « فتيلة قنديل الاله » التي أصبحت تضيء الآن اصقاع اقاصي الشمال .

ويمكننا ان نقبل قصة كوربسكي التي تقول إن القيصر رفض انتخاب هرمان لأن هذا انذره بوجوب التوبة من جديد وتساءل كيف يمكن للقيصر أن يظهر أمام العلي الأعلى ليسوغ سلوكه كقيصر ولي على العباد. كان هرمان مطرانا فاضلا ولكنه كان يقطن في ابرشية قازان الفاخرة فلن يكون أبدا الشاهد اللامع كما كان الأمر مع فيليب . ولم يكن إيفان ملكا عاقلا ولكنه لم يتخل عن هرمان لمصلحة فيلب على أمل أن يجد فيه شخصا أكثر لينا أمام طغيانه وإنما دعا اليه طواعية رجلا يتمتع بقوة معنوية عالية ليكون نداً روحياً له وشريكاً ومساوياً في إدارة الكنيسة والدولة على السواء .

وبينما كان فيليب يتجه الى الجنوب لحق به في اطراف مدينة نوڤغورود مفوضون عن سكانها يرجونه أن يشفع لهم ويحول عنهم غضب القيصر الذي كان يهددهم في ذلك الحين . وكانوا يخشون منذ ثلاث سنوات قبل هذه الحادثة قسوة العقاب الذي سينزله القيصر بنوڤغورود .

أما فيليب الذي كان قد هجر الدنيا فها هو ذا يعود إليها الآن . وبينما كان يقترب من موسكو كانت تذمرات روسيا التي طاش صوابها تتزايد دون انقطاع في اذنيه . وفي تواضعه انتابه شعور بأن العبء سيكون ثقيلا عليه وأنه لا يملك لا القوة الكافية ولا الحكمة الكافية ليكون ممثلا لسلطة الكنيسة الأساسية على هذا الشعب المضطرب المتالم الخاطىء . وفي اول حديث له مع القيصر أعلن عدم رضاه عما كان يجري ورفض ان تتحمل الكنيسة مسؤولية خطايا البلاط . وهو لا يريد أن يحتل منصب المتروپوليت لأنه تابع صغير جدا تجاه المهمة التي يريد القيصر أن يلقيها